

الجنة وعنديه ربي فيه خير كثير⁽⁵⁾. وروى في صفته: أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، والين من الزبد، حافظته الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء⁽⁶⁾. وروى: لا يظلم من شرب منه أبداً، أول وأربيه فقراء المهاجرين الذين الثياب الشعث لرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره⁽⁷⁾، وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير. فقال له سعيد بن جبير: إن ناساً يقولون: هو نهر في الجنة. فقال: هو من الخير الكثير.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٧﴾

والنحر نحر البدن، وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع، والنحر بمنى. وقيل: صلاة العيد والتضحية، وقيل: هي جنس الصلاة، والنحر وضع اليمين على الشمال. والمعنى: أعطيت ما لا غاية لكثرة من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطى ذلك كله أنا إله العالمين⁽⁸⁾، فاجتمعت لك الغبطتان السنبتان إصابه أشرف عطاء وأوفره من أكرم معطٍ وأعظم منعم، فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للثلاثين.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٨﴾

﴿إن﴾ من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم ﴿هو الأبتَر﴾، لا أنت. لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وتترك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف. فمثلك لا يقال له: أبتَر، وإنما الأبتَر هو شانئك المنسى في الدنيا والآخرة، وإن نكر نكراً باللعن. وكانوا يقولون: إن محمداً صنبور إذا مات نكره. وقيل: نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتَر، والأبتَر الذي لا عقب له. ومنه الحمار الأبتَر الذي لا نجب له. عن رسول الله ﷺ⁽⁹⁾: «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قرببه العباد في يوم النحر أو يقربونه»⁽¹⁰⁾.

لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت. فوجب إمامة التهمة بالإظهار، وإن كان تطوعاً فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلاً، وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح. وعن بعضهم أنه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها، فقال: ما أحسن هذا لو كان في بيتك! وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة، على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: الرياء أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود.

وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿الماعون﴾ الزكاة. قال الراعي: قوم على الإسلام لما يمنعون، ماعونهم ويضيعوا التهليلاً وعن ابن مسعود: ما يتعارف في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقنعة ونحوها: وعن عائشة: الماء والنار والملح. وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار، وقبيحاً في المروءة في غير حال الضرورة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة رأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤدياً»⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكوثر مكية

في قراءة رسول الله ﷺ: إنا أنطيناك بالنون⁽²⁾، وفي حديثه ﷺ: «وأنطوا الشجرة»⁽³⁾. والكوثر فوعل من الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم أب ابنك؟ قالت: أب بكوثر. وقال:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل⁽⁴⁾ كوثرًا

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾

وقيل: الكوثر نهر في الجنة. وعن النبي ﷺ أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في

(7) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: نكر الحوض (الحديث رقم: 4303)، وأخرجه أحمد في المسند (الحديث رقم: 275/5).

(8) قال أحمد: جعل الزمخشري توسط الضمير بين الجزئين مفيد للاختصاص؛ لأن إفادته ههنا لتلك بيئته مكشوفة.

(9) أخرجه الثعلبي وابن مرويه والواحدي في تفاسيرهم زيلعي 4/305.

(10) نكره الزبيدي في الاتحاف 645/9، وصدده عند الترمذي من حيث أنس في كتاب: ثواب القرآن (10).

(1) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مرويه في تفاسيرهم زيلعي 4/299.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب القراءات...

(3) تقدم في يونس.

(4) العقائل: جمع عقيلة وهي في الأصل المرأة الكريمة النفيسة.

(5) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة (الحديث رقم: 53 - 400).

(6) أخرجه الحاكم في المستدرک في 171/3.

ما مصدرية أي: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي.
لَكُمْ وَيَكْفُرُوا وَلِي دِينٍ ①.

﴿لَكُمْ بَيْنَكُمْ وَلِي دِينٍ﴾ لكم شرككم ولي توحيددي.
والمعنى أنني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة،
فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفأفاً ولا تدعوني
إلى الشرك. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكافرين
فكانت قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ
من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر»⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النصر مدنية

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ①.

﴿إِذَا﴾ منصوب يسبح، وهو لما يستقبل، والإعلام بذلك
قبل كونه من أعلام النبوة. روي أنها نزلت في أيام
التشريق بمنى في حجة الوداع.

فَإِنْ قُلْتُمْ: ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه؟
قُلْتُمْ: النصر الإغاثة والإظهار على العدو، ومنه نصر الله
الأرض غائتها. والفتح فتح البلاد، والمعنى: نصر
رسول الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكة. وقيل:
جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم. وكان
فتح مكة لعشر مضي من شهر رمضان سنة ثمان، ومع
رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار
وطوائف العرب، وأقام بها خمس عشرة ليلة، ثم خرج إلى
هوزان وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، صلوق وعده ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده. ثم قال: يا أهل مكة ما ترون أنني فاعل
بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم
الطلقاء. فاعتقهم رسول الله ﷺ⁽³⁾. وقد كان الله تعالى
امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فياً فلذلك سمي أهل مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكافرون مكية

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①.

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم
لا يؤمنون. روي أنه رهطاً من قريش قالوا: يا محمد هلم
فاتبع ديننا وتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة وتعبد إلهك سنة.
فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره. فقالوا: فاستلم بعض
آلهتنا نصنقك وتعبد إلهك، فنزلت. فغدا إلى المسجد الحرام
وفيه الملا من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم
فأيسوا.

لَا أَعْبُدُ مَا يَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③.

﴿لا أعبد﴾ أريدت به العبادة فيما يستقبل لأن لا تدخل
إلا على مضارع في معنى الاستقبال، كما أن ما لا تدخل
إلا على مضارع في معنى الحال، ألا ترى أن لن تأكيد
فيما تنفيه لا. وقال الخليل في لن أن أصله لا أن. والمعنى:
لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم،
ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي.

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ④.

﴿ولا أنا عابد ما عبثتم﴾ أي: وما كنت قط عابداً فيما
سلف⁽¹⁾ ما عبثتم فيه. يعني: لم تعهد مني عبادة صنم في
الجاهلية، فكيف ترجى مني في الإسلام.
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي: وما عبثتم في وقت
ما أنا على عبادتي.

فَإِنْ قُلْتُمْ: فهلا قيل: ما عبثت، كما قيل: ما عبثتم؟ **قُلْتُمْ:**
لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن
يعبد. الله تعالى في ذلك الوقت.

فَإِنْ قُلْتُمْ: فلم جاء على ما بون من؟ **قُلْتُمْ:** لأن المراد
الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق. وقيل: أن

(1) قال أحمد: هذا الذي قاله خطأ على الأصل والفرع جميعاً، إما على
أصله القدري، فإنه وإن كان مقتضاه أن النبي ﷺ لم يكن قبل
المبعث على دين نبي قبلي، لاعتقاد القدرية أن ذلك غميرة في
منصبه ومنفر من أتباعه، فيستحيل وقوعه للمفسدة، إلا أنهم
يعتقدون أن الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر
في آيات الله تعالى وأدلة تروحيه ومعرفته، وأن وجوب النظر
بالعقل لا بالسمع، فتلك عبادة قبل المبعث يلزمهم أن لا يظنوا
به ﷺ الإخلال بها، فحينئذ يقتضي أصلهم أنه كان قبل المبعث
يعبد الله تعالى، فالزمخشري حافظ على الوفاء بأصله في عدم
اتباعه لنبي سابق، فأخل بالفرع على أصله الآخر في وجوب
العبادة بالعقل، والحق أن النبي ﷺ كان يعبد قبل الوحي ويتحدث

(2) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الفتح في رمضان
(الحديث رقم: 4275).

(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند (الحديث رقم: 343/3).

(1) قال أحمد: هذا الذي قاله خطأ على الأصل والفرع جميعاً، إما على
أصله القدري، فإنه وإن كان مقتضاه أن النبي ﷺ لم يكن قبل
المبعث على دين نبي قبلي، لاعتقاد القدرية أن ذلك غميرة في
منصبه ومنفر من أتباعه، فيستحيل وقوعه للمفسدة، إلا أنهم
يعتقدون أن الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر
في آيات الله تعالى وأدلة تروحيه ومعرفته، وأن وجوب النظر
بالعقل لا بالسمع، فتلك عبادة قبل المبعث يلزمهم أن لا يظنوا
به ﷺ الإخلال بها، فحينئذ يقتضي أصلهم أنه كان قبل المبعث
يعبد الله تعالى، فالزمخشري حافظ على الوفاء بأصله في عدم
اتباعه لنبي سابق، فأخل بالفرع على أصله الآخر في وجوب
العبادة بالعقل، والحق أن النبي ﷺ كان يعبد قبل الوحي ويتحدث